قراءة في قصيدة (الـــغردقـــة) للشاعر/ محمد الأكسر

بحرٌ من الإبـــداع والـجـمـال

الأبجدية بحر جمال و روعة كلمات ،تُعَبّر عن نفسها ووجودها، على صفحاتنا الناصعة و تَرسم بروحها المتدفقة مشاعر و حياة أجمل المناظر الكونية السابحة في الملكوت، هي آيات خلق و حُسن تدبير خالق، يحيطنا بعنايته الفائقة، لنستخرج أجْمل ما فينا من كلمات و مَشاعر، تَعيش داخلنا لنَحيا بها و فيها ،تكون عَالما في حَدّ ذاته، له فَضاء يتّسع و يَضيق حسب آفاقنا، مَشاغلنا، تَطلعاتنا، أمَانينا أو احْبَاطاتنا، التي تكون نَتيجة أحداث مؤلمة عَشناها، أو رَسَمت نفسها على واقعنا المَشْبع بالخَيال الرّاكض فينا و حولنا .

نَتفاعل مع الكلمة نَحمّلها مَشاعرنا، هُمومنا، أحزاننا، فَرحنا و سَعادتنا، نَتَحمّلنا و نَتَحَمّلُ ما فينا من قُبح و جَمال، لنَترسّمنا على صَفحاتنا... نَخال أننا نَكتبها ، لكنها تَكتبنا بكل تَفاصيلنا الغائرة في الوجدان و التي نَعيها و الأخرى الغَافيَة فينا مُنذ عُقود.... تُثيرها الأحْداث و المَشاهد التي تَتَخلّلُ الحَواس فتَطفو على السّطح لنُصبح البَحْر الهادئ أو المتلاطمة أمواجه، يخضع لقوة الهوى العاصف بنا و بها، أو نكون بحرا ساهرا على ضوء قمر شهُورنا المُتتالية لنَخضع لنوره المُنعكس على أديمه و يَمتد فينا المَدّ و يَنقبض الجزر لنَتّبع حركته و نعيش القبض و البسط، السعادة و التعاسة، الحزن و الفرح ،الألم و الأمل .

منجية بن صالح - تونس

حياتنا كلمة، و مشاعرنا كلمة، نقولها لنسعد بها أو لنشقى تكون لها روح محلقة سابحة في الملكوت أو لها موات تُلقيها كَجُثة هَامدة على صَفحاتنا و الواقع لتكون الفَاعل أو المَفعول به أو مَصدر سَعادة أو صفة لمشهد تَخللنا جَماله .

هكذا يَكتب الشُعراء أو بالأحرى تَكتُبهم كَلماتُهم لتُعَبّر عن شوق أو حُبّ جارف مَلكهم فأمتلك مُفرداتهم السّابحَة في سَماء الأبْجدِيّة ، و المُحلقة في فضاء القارئ، تأتي لنا من آفاق بعيدة نسعد بها و تجعلنا نعيش لحظة الكتابة و حال الكاتب، هي روعة الكلمة الحية، و التي يخترقك جمالها، و يُوحي لك بحياة أخرى تَنقلك من عالم ضيق المكان إلى آخر أرْحَب يَسبيك جَمَاله و يَفتح أبواب الفكر و المشاعر ، لتكون المتلقي بامتياز لكمّ هائل من الإيحاءات الجمالية و الحاملة لأفكار تَحيا ما بَين السُّطور و كأنها درر تَعيش في مَحّار أعمَاق البحار، تفصح لك عن وجودها ، ليُغريك جَمالها فتَتَبناها، هكذا تشعر بدفء يحتضن وجدانك و فكرك، تصبح جزءا منك ، لأنك جُزءٌ منها و من حقيقة أنت تَناسَيتها لأن الجمال و الحُب هما أصل وُجود الإنسان.

وجدت نفسي أتحدث عن الجمال و الحب، و أنا أمام قصيد يُبحر بنا في بحر الطبيعة، لنتذكر أن الإنسان، نشأ في بحر أرض الأمومة و الذي يولد معنا ليصاحبنا إلى يوم ترجع فيه الأرض إلى الأرض.

هكذا وجدتني على شاطئ بحر «الغردقة» على أرض قصيد الدكتور محمد الأكسر أتأمّل روعة الكلمات الشاعرة و المُحلّقة كنوارس تُراقص السّعادة و الفرح في سماء بحر اختزَل قصة الإنسان و الوجود، تسحبنا إليه الأمواج في مدّها و جَزْرها لنعيش أنغَامه الحالمة الحاملة لألوان ترسُم نفسَها على أرض الوجدان و المكان، تُعيد تشكيل الكلمات في كل لحظة لتكون الأجلى تفصح لنا عن جمال نفتقده داخلنا و حولنا ، و كأنها تُذكرنا بروعة الخلق و بآياته التي تحاول طمسها أَحْداث أثقلت كاهلنا.... يُقدّم لنا الشاعر القصيد و يقول:

إنَهُ البحرُ
يغسلُ فيه الترابُ مآسيه
تَنْبضُ بالحلم شُطآنُه المشرقةْ

إنه البحر هكذا يبدأ الشاعر في تقديم آية من آيات الخالق في الكون، هذا الفضاء المائي المُمْتدّ على سطح الأرض، و الزاخر بحياة أخرى تُشبهنا و ليسَت مِثلنا لها سكينة و هُدوء، غضب و ثورة، مد و جزر، نتشابه مَعها لنتأمل جمالها و نتخلص من ألم يسكننا، من تعب أثقل الجسد و الفكر .هو الماء المفعم بالحياة و النقاء ،و الذي يُطهّر الأرض مما علق بها من قبح و خبث، و مآسي أغرقتها و أضنت وجودها . الماء يُعطي حياة أخرى للأرض بعد مَوات أفقدها الحركة الفاعلة في الكون فللبحر حلم و اشراقة يستنير لها الوجود، ينبض الحب في أعماقه يحتضن الجمال ،و ينثره من حوله ،ليعطر به الواقع و يزيل عنه بعض ما علق به من قبح.

هكذا تشرق شطآنه على نفس جلاسه و مرتاديه و يقول الشاعر:

إنَهُ البحرُ
في جوفه نَبْض عِشْق قديم
لمحبوبةٍ لن تزَول
ولازال يَحْكيه في فَرَح للرمالِ
لكُل العَرَائسَ تَحتَ الشماسي
وَحين تداعَبَ أجسادَهُنّ المياه
ليَحْكي لَهُنّ حكَايَتَه العاشقةْ

للبحر حياة عَاشقة تنبض فيه و به تُجسّد عشقا قديما لمحبوبة تَمْتد جذورها في القدم يتواصلَ مع حاضر له مستقبل ،ليكون الحب في أجمل صورة لا يزول و لا يحول، يتجلى على صفحة البحر والذي يختزله في ثناياه عشقا أزليا سرمديا، خلق قبل الكون ليكون بعده، له حكايا تحتضنها الرمال ، تعيشها لتُبقيها رسوما فرح ، لها إشراقة سعادة على جلاس الشواطئ و عرائس الشماسي، بعد أن انتعشت أجسادهن بروعة التواصل مع بحر عاشقة مياهه، تراقص الحكايا و تَنثر مَخزون ذاكرة الزمان، و كأنها كنوز أخرجتها الأمواج على الشطآن....

تواصل جميل يُبدع فيه الكاتب و يجعل من الكلمة الحَالمة وجود سابح في بحر الكون، و الوجدان الإنساني هناك تداخل رائع ،نستشعر حلاوته و نتذوق طعم الفرح فيه، لنعيش لحظة سعادة خلق فيها الكون لتُخلِقَنا من جديد و يقول الشاعر:

إنَهُ البحرُ
يمضي إليه المُحبُون
كي يُطفئوا في مَرَاياهِ ألآمَهم
كي يَرْجعوا
لليالي الجديدة بَينَ الرّحَام
وأرْوَاحُهم بالهوى ناطقة

يقول الشاعر إنه البحر، الذي يَمْسح مآسي الرّمال و بنفس الطريقة يطفئ آلام المحبين في مائه، و كأنها نار حارقة يُخلصُهم منها لتكون بردا و سلاما، ينعش الروح كما الجسد .

للوجع حرقة ،و للحزن نار تشعلها النفس لتتقد فينا و حولنا ، يخلصنا منها البحر ليقول لنا أن فيكم الماء و الحياة، و النار و ما أنا إلا جزء منكم ، أعلمكم كيف تتجدد الحياة فيكم، لتنطق الروح بأحلى مفرداتَ الهوى .....هو تواصل روح البيان الإنساني بروح البحر الكوني الساكن الصامت وجوده داخلنا..... هو انسجام بديع بين عالم الشهادة و الغيب، لتترسخ آيات الخلق، و تفصح عن وجودها لكل من ألقى السمعَ وهو شهيد و يقول الكاتب:

قد نسوا لغةَ الطّين
واللغةَ اليابسَة
أتقنوا لغةَ الماء
ما بَيْنَ أرْوَاحهمَ والمياهِ
وطيفِ الحياةِ
اتصالٌ
وَمُفْتَتَحٌ للحوارِ
وللغة المُطْلَقَة

للغة الطين مفردات واقع و نسيج خيال، تشعله مشاعرنا السلبية المتقدة فينا و حولنا ،نعيش بها تُحَمّلنا آلامها و أوجاعها، تثقل كاهلنا و لا نستطيع في كثير من الأحيان التخلص منها بجهد فردي، ليقول لنا الشاعر أن أمام البحر، ينسى العشاق هذه اللغة اليابسة ،و التي سكنتنا حد التكسر و أثقل حطبها كاهلنا، و كأنها تُسقط أسلحتها أمام روعة الحياة و جمالها، لنفقه أخرى تتخلل المحب و تعلمه فنون البيان و الفصاحة و كأن للماء حياة و لغة نابضة فينا نراها على مرايا الكون لنتذكر وجودها و نحاول استعمالها لنكون الأجمل و الأنقى.... كماء زلال يحمله الموج ليَحملنا في طياته و يُعلمنا الحركة على أرض البيان ....هكذا ينطق الإنسان بأجمل لغة و أحلى أبجدية.... تشكل مفردات تقطر حبا و عشقا و تَنبع من قلب الإنسان لأخيه الإنسان لأنه آية خلق و بحر كون و نبض حياة ....

يقول لنا البحر أننا شواطئ تدوسها الأقدام كلما ملكنا الخوف و الجهل و أحجمنا على خوض غمار فضاء الحياة و تجاهلنا المعرفة التي تحتويها الطبيعة الناطقة حولنا بلغة الصمت الجميل و الذي له حكايا يعجز عن الإفصاح عنها اللسان فللقلب حياة في عمق بحر الوجود الإنساني، و للماء حياة في أعماق البحر و على أرض الكون، له تواصل حي يفتقده الأموات الأحياء....

مما ألم به من حزن و ظلمة واقع ....

يمتلكنا الجوى ،لينتحر البلسم و يعوذ الشاعر بالبحر، يجالسه ليحكي له مخزون ذاكرة و ألم حَدث ، يبحث عن مكان يواري فيه دمعة تكفكفها رمال الشاطئ..... ليتواصل الماء بالماء و يتواصل الموت بالحياة . للكلمات ألوان تبهت و رسوم تتكسر ريشتها في يد صاحب الكلمات ... وللغة الصمت قدرة، و لحكيها بيان ،يعلم الوجع النُطق، و الألم الفرح، تُرمّم رسوم المفردات ،لتَحتَضنها روح الحياة ،و تحلق كنوارَس طبيعة فوق أمواج البحر.... هو الجمال الذي يُلغي أثر و جود مُفردات الألم على رمال الشُطآن.... يُرمّمُ البحر لغة الصّمت المُطلقة ليكون للأبجدية مَرسم ، و للقلم ريشة..... و يقول الشاعر مخاطبا بحر الغردقة:

المحيطاتُ تَسْمَعُ عنكِ
فَتُوفِدُ أمْوَاجَها
عبْرَ ثَقْبِ الزمانِ
وثَقْبِ المكانِ
تَحُجُّ إلي الغَرْدَقَةْ
مُحْرِمَاتٍ بِزُرْقَتِهِنّ
من مَوَاقِيتِهِنّ
من قناةِ السويسِ
ومِيَوَاةَ المَنْدَبِ الضّيقَةْ
يَسُقْنَ قَرَابِينَهُنّ
من الدّفءِ
واللهفَةِ الدّافقَةْ

البحر و المحيطات و الزمان و المكان ، يكون الكاتب بين يديهم يستنطقهم، و يتأمل حركة أمواج المحيط الذي يسمع عن جمال بحر الغردقة فتكون له وفود عبر الزمان و المكان تشُدُّ الرحال لتلقي بنفسها بين أحضانه.... لها مواقيت و إحرام و حج، يلتحفن الزرقة و يحدوهم الشوق إلى فضاء يراقص الجمال ،على إيقاع الأمل و سعادة اللحظات المتتالية ،تحمل هذه الوفود في طياتها قرابين الدفء و اللهفة الدافقة، إلى فضاء يتوق إلى وجود يزدان بها..

هكذا يجعل الكاتب للبحر حياة و حركة و تواصل ،و كأنه يتحدث عن عالم ناطق يتحرك فينا و بنا، له مشاعر و جمال يسكنه، ليفصح عنه و يباهي به، اللغة الناطقة في الإنسان و بيانه، ليتماهى معه و يقول الشاعر في نهاية المطاف:

فاهنئي يا عروسَ الجمالِ
لأن الجمالَ لهُ فيك مُعْتَكَفٌ لا يزول
ولا زالَ يَمْنَحُ غَيْرَك طَرْفَ الصُّدُودِ
ويَمْنَحُك النّظْرَةَ الصّادقةْ

للغردقةَ جمال معتكف فيها ،لا يزول و لا يحول ،لأنها تحتضن وجوده، ليغفو فيها عند كل غروب، لتشرق شمسه عند كل فجر..... هو اعتكاف زاهد متعبد في محراب الحب الإلهي و الذي يُسَبّح كلِ الوجود باسمه تعالى... هو للغردقة بها و لها يكون... يُسَطِر جغرافيا وجودها، لتكون عروسا يحتل جمالها الشاطئ ،الذي يُصبح مزارا يُلقي عليه المسافر تَعَب حياة أثْقلت كاهله، لتنطلق روحه الأسيرة في فضاء ليس له مَدى ..... يُغمض جفونه على زرقة بحر و شفافية ماء ،لتغتسل روحه و تتخلص مما علق بها من حزن الأيام و أرَق اللّيالي....

وجود البحر في حياتنا ،هو جمال يحتوينا و يأخذنا إلى فضاء أرحب و آفاق تَمتَدُّ في المدى ، لنخرج من ضيق حياة الواقع المُقيد لحرية الإنسان، إلى إدراك معنى الوجود، نخرج من عالم الحسّ الناطق، إلى آخر صامت، لكنه متكلم فينا ،بلغة ليس لها كَلمات نحن من يُعَبر عنها بالكلمة ،لأن الجسد الطيني، في حاجة إليها وهو المتكلم فينا بها، فهي التي تعطينا حياة أخرى تعيش على مدار الروح و التي هي غير ناطقة لكنها تلهمنا معنى وجودها المتواصل مع روح وجود الكون .... فللجسد حس و عالم من جنسه و للروح كيان نوراني جمالي يعيش فينا و خارجنا.... في بحر صمتها نسبح لنتأمل روعة الخلق و الوجود و هو ليس متاح للكل، فله قبول و صدود ...فالجمال الذي أعتكف في الغردقة ،منع نفسه عن غيرها و كأن الشاعر يريد أن يقول لنا أن رؤية الجمال و معايشته ليست أمرا متاحا للكل، فهناك من له من الشفافية التي تجعله يختزل الجمال ليعيش فيه و به، و هناك من لا يقدر لأن ذلك له متطلبات ،يجب تنفيذ شروطها و منها صدق خالص، يعيش به و له ليفصح عنه و يكرسه كسلوك إنساني يُفعّله و يتفاعل معه .

من خلال هذا النص الجَميل و الذي هو معايشة لواقع التقطته عين ،حذقت قراءة مفردات الجمال ،و عبّرت عنه كلِمة شاعر، حوت جمال و روح الأبجدية الناطقة ببيانها المُفصح عن وجود الإنسان، في آخر كَوني يَتماهى معه ليكون فيه و به....هو تداخل جميل نعيشهُ لحظة الكتابة ،التي تعطينا سعادة لها امتداد و مدى، لا ينقطع ،إذا استطعنا أن نتواصل مع الجمال الكوني بآخر انطوى فينا وجوده.... للإنسان أرض و للبحر أخرى بل نفسها لأننا خلقنا منها ، وعلى هذا الفضاء الرحب و المتداخل أستطاع الشاعر أن ينجز تواصلا بديعا بين بحر الأبجدية النابضة فيه، مع بحر جمال يسكنه و آخر يمتد على شواطيء الغردقة. ....عروس ترفل في زينتها لتكون قبلة و ميقاتا و حجا، لوفود ترسلها المحيطات لتشاهد روعة الجمال و تتعبد في محرابه.... صورة ألتقطها الشاعر بحسه المرهف عندما التقى البحر مع بحور شعره.

أين يكمن الجمال فينا ؟ و كيف نتعرف على مفرداته ؟

سؤال يُطرح لأقول ،أن الجمال هو قَوامنا، و الحُب شعور جمالي رَاق ،تَخَلّقنا به ليُصبح أساس خَلق، و إبداع الإنسان، فكلما استشعرنا هذا الوجود داخلنا، كلما احتوتنا مناطق توحي لنا بروعتها الحسّية و المعنوية..... وجودنا أمامها يُنَمي فينا فضاء لهُ جَمالية مُشرقة على وجود داخلنا طَمست معالمه سَلبياتنا الشعورية السلوكية و الإجتماعية ...يكون لهذا الفضاء هيمنة على الإبداع ليصبح القلم ريشة تَرسم أروع المناظر و أرَقها على صفحات الأبْجدية لتكون لها روح ناطقة بين السطور و في فكر و ذاكرة المُتلقّي ...

الشعراء هم أكثر الناس حساسية لمناطق الجمال في الإنسان و الكون ،هكذا نراهم يهيمون في عالم الملكوت، يكون لهم تحليق على جناح الكلمة الشفافة السابحة في عالم الصمت، أين يكون المعنى الجمالي هو المسيطر على عالم الحس، يجرده من خشونة و سلبية تقتل مفرداته ،التي تشف و ترف كروح لها حال و ليس لها مقال....

هم الشعراء بحسهم الراقي، من يعيد للحياة جمالها و روعتها ،في الإنسان و الذي هو صورة مصغرة من الكون الكبير، نتأمل مفرداته الناطقة بلغتها لتحاكي الوجود و نتماهى معه، نستخرج أجمل ما فينا من مشاعر تجعلنا نعيش سعادة لحظة، و لحظة سعادة، نبحث عنها لنروي بها لهفة و عطش سني عمر، حاصرته رداءة الواقع و أحداثه المؤلمة ....فإلى الطبيعة نهرب و على ضفاف بحور الجمال نلتقي.... يتجلى لنا فرح كطيور تأخذنا على جناحها إلى عالمها، أين ننسى أننا وجود طيني له مستلزمات حسية تشبهنا و ليست نحن، لأننا أيضا روح لها غذاؤها و رحيقها ....الذي يغذيها و يجعلها تحيا بعد موت....

هكذا كنت معكم في رحلة إلى الغردقة على ساحل بحر ليس كالبحور ،لأنه شكل كلمات قصيدة جميلة للدكتور محمد الأكسر، فكانت لنا إطلالة على عالمه الداخلي المميز، و الذي تواصل مع آخر خارجي، ليلتقي الجمال بالجمال، و يبدع الإبداع إبداعا ،يحتوينا لنعيش أجمل لحظات شاعرة على شواطئ بحر ليس كالبحور حين تتواصل فيه بحور الشاعر الوجدانية مع الأبجدية و بحورها الشعرية، لتكون لنا فيها و بها سعادة غامرة تتمدّدُ في أحضان و على شاطئ بحر..... الغردقة .....

قصة قصيرة

سقوط اضطراري

بلقيس احمد الكبسي

■ ترامى إلى مسامعي همساً، أن ليلة اقضيها هناك؛ ستعيد لي شبابي سنوات إلى الوراء .. وسأستعيد رجولتي بصمود شامخ، بلا خنوع أو انحناء، فعبقت الرغبة في أعماقي حتى النخاع، وقادتني إلى ليلة... تلك الليلة الشهريارية التي سأعيش فيها المتعة.. وسأنفس عن غرائزي .. سأطلق لها عنان لا حد له .. وسأعب من رحيق جسد .. لا بل أجساد كانت وما زالت نقطة ضعفي .. يا للنساء لهن سحر عجيب تخضع اعتي الجباه ..!!

أفشيّ إليّ بالسر.. علمتُ بوسيلة الحصول على اللذة .. لم أبدد الوقت.. سعيتُ بحفيف جهد متواصل للحجز .. وكما تعلمون نحن معشر الـ ... تتشتت اتجاهاتُنا.. تتعارك أفكارنا.. وتختلف معتقداتنا.. وتتباين انتمائنا، تفرقنا مصالحنا.. لكننا نتفق ونتشابه في نقطة البحث عن الـ... وكلنا سواء.. ينفس بعضنا عن رغبات بعض، ونذلل لبعضنا صعوبات نيلها، لذا فقد حصلت على إذن بارتياد ذلك القصر الحجري المحصن، والذي يبدو كعرين أسد، ويا للسخرية الـ... لن تصدقوا من ذيل لي سبل الوصول إلى وكر الـ...؟

حدد الموعد .. توجهت إلى ملاذي مهرولاً، تسبقني نزوتي .. وصلتُ إلى المكان الذي بدا ليّ رغم فخامته وهيبته وكأنه يرتدي الـ ... نقرت على جرس بجوار الباب، يبدو كأنه عين حارس يقض .. أجابني صوت غريب .. التبس عليّ الأمر.. هل هو صوت رجل أم امرأة ؟ لا أدري .. ما أعلمه .. وشعرت به .. أن كهرباء سرت في جسدي.. رعشتني .. هزتني من الأعماق .. وخلخلت كياني.

حاولت التماسك .. فما أنا مقدم عليه يتطلب صموداً لا يشوبه ارتعاش المفاصل .. وتقوس الركبتين .. أسمعت صوتي لصاحب الصوت الغريب عبر جرس الباب، بحت بكلمة السر .. التي ما إن تفوهت بها؛ حتى فتح لي ذلك السمسم الباب، وإذا بها سوداء أجنبية .. ظهرت بثياب صلاة تغطي جسدها من أعلاها إلى أخمص قدميها .. لا بل زد على ذلك بضع سنتيمترات.. ظهرت أمامي وكأنها عابدة ناسكة.. يبدو عليها الوقار.. والورع يتقاطر من وجهها إيماناً خالصاً، وما إن رأيتها حتى صُعقت.. يا إلهي ..!! لقد أوقعوني في فخ، ولربما أخطأتُ المكان، فقصدت دار عبّاد نسّاك، تراجعت خطواتي إلى الوراء.. للمت خجلي .. تلعثمت بالاعتذار ..التفتُ إلى الخلف وأوشكتُ على الرحيل.

لكنني توقفت عندما اخترقت طبلتي أذني كلمة السر المتفق عليها .. هو الصوت نفسه الذي لم استطع تمييزه، التفتُ إليّها .. وإذا بها تُشير عليّ بصمت الدخول، لا أعتقد أن الصوت لها، أذعنت لها .. انسللتُ بهدوء .. اقتفي خطاها في ترقب.. وأسأل نفسي في توجس :

يا ترى إلى أين ستقودني..؟

لا أخفيكم سراً ..أنا من أتصيد النساء لأبحث عن ملاذ بين أحضانهن، ترتعش مفاصلي رعباً من امرأة، لكن لا أنوثة تدل عليها .. وكأنها أحد جنود (المارينز) . ظللت اتبعها .. والخوف يتبعني، وأنا أتلفت يمنة ويسرة وإلى الخلف .. وهي صامته لم تنبس بحرف واحد .. لعل لسانينا لا يفقهان لغة بعضيهما .

ما زالت خطواتي تتبعها.. ونحن نجتاز تلك المتاهة .. اخترقنا أبواباً عدة، كتلك التي أشاهدها في قصور الأباطرة والقياصرة .. أراها ولا أصدق حقيقة كنهها.. لكنني الآن أعي ما أرى .. وكأنني بطل فيلم إمبراطوري. أوصلتني إلى ردهة طويلة تجثم على يمينها ويسارها غرف موصدة.. تضاهي غرف الفنادق الفاخرة .. لكنها أكثر تحصناً ومنعة .. ظننتها خالية .. وما إن اقتربتُ إلى منتصفها حتى ترامى إلى مسامعي عواء أنثوي ممزوج بخوار ثيران .. كؤوس تقرع .. موسيقى صاخبة .. وأشياء أخرى، حاولت التلصص على إحدى الغرف لكن بابها محكم بإتقان، لم أظفر ببصيص نور من شق بأسفله، يالها من تقنية محكمة ..!! لا أظنها محلية الابتكار.

ظلت خطواتي تتبع ذلك الجسد الملتحف بثياب العبادة، بينما تفكيري ارتحل بعيداً، فجأة..!! فتحت باب إحدى الغرف، تلقيت منها إشارة صامتة بالدخول .. وما إن انسلت قدماي إليها حتى صفقت الباب بسرعة خاطفة .. تقدمتُ خطوات، وإذا بالفتنة رابضة على سريرٍ بإغراء فاحش .

تسمرت نظراتي نحوها بلا حراك، إلا أن عينيّ الفاحصة انزلقت مشدوهة بلا إرادة نحو طاولة، تنتصب عليها أنواعاً فاخرة من الشراب الأوربي، وأجود النخب الأمريكي المقتنى بعناية فائقة.. لا تسألوني كيف عرفت ذلك من نظرة خاطفة..؟ فالأمر لا يحتاج إلى تمعن .. الخبرة المزمنة تفيد أحيانا في مثل هذه المواقف.

أرجعت بصري نحو الجسد الذي ينتظرني بشبق، وكأنه قد شحن بموجات عارمة ؛ ليؤدي المهمة على أكمل وجه .. ألقيتُ بنفسي بين أحضانه.. بعد أن عببتُ من قوارير شتى حتى ثملتُ .. رميتُ بسحنة الاحترام والاستقامة جانباً إلى حين ارتدائها .. وغصتُ في ملذة شابها الشذوذ .. لم أعط لنفسي فرصة كي أتفحص ما حولي .. ولم أمنح وميض لحظة ؛ لألمح ما يختبئ فوق رأسي، وأنا من يعرف عنيّ بأنيّ سريع البديهية .. دقيق الملاحظة .. ألمحُ الأشياء كوميض برق، لكن زيفي العاهر انكشف، وأنا انهمك بافتراس ذلك الجسد المعد لي بعناية.. والذي أشعلَ فحولتي .. وأيقظ رجولتي النائمة، التي افتقدتها زوجتي طويلاً .. ظننت أن لا أعين ترقبني وأنا في حضيض تخبطي، سوى تلك العينين.. وأقنعت نفسي بأنه سيظل حكراً بيني وبينها.

ويا لها من فاجعة..!! عندما رأيتُ نفسي وأن ابتذل على شريط فيديو مسجل، لم أتوار من خجلي، بل تمنيت ساعتها الموت، يا لقذارة ما أرى..!! ربما لم أكن أنا ذلك الكلب الـ... لكنها الحقيقة ما زالت ذاكرتي تستفرغُ أحداث تلك الليلة الظلماء، إلا أن ما قصم ظهري رسالة ألحقت بالشريط الذي وصلني هدية من شخص لم أتوقعه بتاتاً، يتضمن تهديداً علنياً وسافراً إن لم أقم بتنفيذ جملة من الأوامر- والحق يقال - لم تكن أوامر بل كانت جرائم؛ فسأمتع ناظري بمشاهدة نفسي أعرض على شاشات عملاقة .. وعبر صفحات الانترنت .. عندها يفتضح أمري على الملأ.. حينها كم من الألسن عليّ قطعها حتى لا تلوك سيرتي ..؟

يا إلهي .. أنا من أنا من وجاهة معروفة.. مسؤوليتي ليست بالهينة .. منصب مرموق.. هيبة وجسارة.. وهذه السحنة التقية الورعة أين أذهب بها ؟ سيجن من يعرف التزامي واستقامتي .. هل اسلخ جلدي عن وجهي حتى لا أكون .. يالها من فضيحة ..!! لن أدنس بوسخها وحدي .. بل ستلطخ أهلي وعشيرتي .. ويرجمون بقذارتها .. وسأكون عبرة لمن اعتبر ومنٍ لم يعتبر.

لم أجد بداً من الإذعان، فضيحتي ليست كحياتي، لن تترك لي رفاهية الاختيار، خضعتُ للأوامر- المعذرة - اقصد نفذتُ ما طلب مني ارتكابه، سقطت .. وسقطت وأنا أكرُ حبات مسبحتي .. حان موعد سقوطي الأكبر، حسمتُ أمري، ركلت بعنف الإحساس بالذنب الذي بدأ يقضمني.. لم أصغ لأنين ضميري المحتضر، من قال أن الربح والخسارة سيان..؟ دمار وطن ولا فضيحة ... رميتُ بها على الوطن ليتحمل وزرها .. فلماذا هو وطن..؟ أليس ليستر فضائحنا ..؟ عليه أن يبر بنا، لا بد أن يضحي لنحيا شرفاء، هكذا هو سخاء الأوفياء، فليكن هذا الوطن وفياً لنا، لن أكون قرباناً أو طعماً.. فالوطن مليء بالكباش .

لم أتوان لحظة.. أعلنت سقوطي الأكبر.. ونظراتي متحلقة في الأفق، اشتريت ستر فضائحي، أذعنتُ وسقطتُ كورقة صفراء باهتة، أي سموم قاتلة تخفي يا منصبي العالي ..؟ وكعادتي واريت خيبتي.. وأعلنتها شجاعة واستبسالا .. تطاير الزبد من فمي عندما ارتفعت عقيرتي باسم الوطن .. هكذا يقول العقل لا مجال هنا للغة العاطفة، لن تدرك أهوائي تلك اللغة .. فلتذهب ضمائرنا إلى الجحيم مع الوطن الذي ستلتهمه فضائح جرائمنا .. اضطررنا فماً عسانا نفعل ..؟ ولكن يا ترى هل كل من سقط كان سقوطه اضطرارياً...؟